



تسبب ضعف أداء الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مقابل استحواذ نظيره الروسي فلاديمير بوتين على المشهد في قمة هلسنكي (16 يوليو) بردود فعل سلبية في واشنطن، حيث دعا زعيم الجمهوريين في الكونغرس الأميركي بول رайн، ترامب إلى أن “يدرك أن روسيا ليست حليفتنا”， مؤكداً أنه: “ليس هناك تكافؤ أخلاقي بين الولايات المتحدة وروسيا التي ما زالت معادية لقيمنا وأفكارنا الأساسية. يجب أن تركز الولايات المتحدة على محاسبة روسيا ووضع نهاية لهجماتها الوضيعة على الديمقراطية”.

ورأى الرئيس الجمهوري للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ بوب كوركر أن تصريحات ترامب جعلت الولايات المتحدة تبدو كما لو كانت “لقطة سائفة...فعندما أتيحت له الفرصة للدفاع عن أجهزة مخابراتنا التي تعمل لصالحه، أصابتني خيبة الأمل والحزن بالمقارنة التي عقدها بينها وبين ما ي قوله بوتين.”

كما نشبت أزمة ثقة بين الرئيس الأميركي دونالد ترامب، ومدير المخابرات الوطنية الأمريكية دان كوتس الذي أكد أن جهازه كان واضحاً بشأن التهديد الذي يمثله التدخل السياسي الروسي، مما دفع ترامب لنشر تصريح يتراجع فيه عن موقفه السابق، ويؤكد ثقته بأجهزة بلاده الأمنية.

ويبدو من الواضح أن الثقة التي ادعاهما ترامب بأجهزته الأمنية والعسكرية ليست متبادلة؛ إذ إن انعطافة الرئيس الأميركي لصالح الموقف الروسي في سوريا قد تسببت بعاصفة من التكهنات والانتقادات حول سياسة البيت الأبيض إزاء الملف السوري.

فقد تحدث ترامب في أكثر من مناسبة عن إمكانية التوصل إلى اتفاق مع موسكو حول جنوب غرب سوريا يسمح لهم ببساط السيطرة عليها، وتمكين النظام من السيطرة على طول الحدود الأردنية وفق “شروط معينة”， تتضمن استيعاب فصائل المعارضة المتعاونة في الفيلق الخامس بدلاً من القضاء عليها، وإقامة منطقة عازلة، ومنع القوات المدعومة من إيران من التمركز في المنطقة.

وحضر سياسيون مخضرون الرئيس الأمريكي من تقديم المزيد من التنازلات لبوتين، حيث رأى رئيس مجلس الأمن القومي جون بولتون ضرورة المحافظة على قاعدة التنف، وعدم مقاييسها بأي ثمن، مصراً على طرد إيران من سائر الأراضي السورية وليس من المحافظات الجنوبية فحسب.

وعز تلك المطالب الفريق مايكل نانغا؛ أكبر مسؤول في مركز مكافحة الإرهاب، بتأكيده إن القتال ضد تنظيم الدولة في كل من العراق وسوريا لم ينته بعد، قائلاً: "رأي أن دور الولايات المتحدة لا يمكن التخلص عنه للتعامل مع ما يجيء". وتقوم صفة ترامب- بوتين (التي أبرمت قبل قمة هلسنكي أيام) على افتراض أن روسيا جادة في التعاون مع الولايات المتحدة للتوصيل إلى حل سياسي في سوريا، واعتبار تخفيض العنف أولوية تسمح بعودة اللاجئين، وأن لدى موسكو القوة والإرادة على احتواء طهران ودفعها للتخلص عن مواقعها المتقدمة جنوب البلاد، وهي افتراضات خاطئة بالكلية.

ويرى العسكريون الأمريكيون أن مساعدة ترامب للإعلان عن نية سحب قواته من سوريا قد أضعف موقعه السياسي والعسكري على حد سواء، وقلل من أوراق التأثير لدى الإدارة الأمريكية التي سلمت الجنوب السوري لروسيا والنظام دون أن يكون لها أي دور ميداني أو حتى اعتباري كضامن لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه.

وفقاً لتقرير أمريكي مطلع؛ فإن مسؤولون أمريكيون يرون أن ترامب قد ارتكب أخطاء فادحة في جولته الأخيرة التي ختمها بقمة هلسنكي، حيث بالغ في انتقاد حلفاء واشنطن التقليديين، وعلى رأسهم حلف الناتو والاتحاد الأوروبي، وكال مدح لنظيره بوتين، وبرأه من تهمة التدخل في الانتخابات الأمريكية، وسمح له أن يتحدى التحذيرات الأمريكية بشأن دعم حملة النظام في جنوب سوريا، وأن ينتهك اتفاقية خفض التصعيد، وأن يمنح إيران موئل قدم آخر في سوريا.

ويرى بعض القادة العسكريين أن سياسة ترامب قد أتاحت لبوتين والأسد المضي في خطتها لإزالة العقبات أمام تعزيز التواجد الإيراني في سوريا، وأن يدفعها بالولايات المتحدة للتخلص عن قواعدها العسكرية وعن نفوذها شمال وشرق سوريا، مقابل تقديم الروس والإيرانيين وبسط سيطرتهما على سائر المحافظات الجنوبية، حيث تحتشد القوات الروسية – التي يمثل المرتزقة معظم قوامها في الشمال والشرق – إلى جانب الميليشيات الموالية لإيران وتقف على أهبة الاستعداد لضرب قوات "قسد" المدعومة من الولايات المتحدة.

وفي مقابل تدمير فصائل المعارضة وتفكيك ما تبقى منها؛ يعمل النظام على تعزيز موقفه من خلال حشد الميليشيات الموالية لإيران في الجنوب، وتشكيل قوة من العشائر الموالية بحلب والرقة والحسكة ودرعا ودير الزور ودفعهم لإصدار بيانات تطالب بطرد الولايات المتحدة والتعهد بالقتال إلى جانب قوات الأسد.

وقد ساهم الروس في تسليح هذه العشائر، وشكلوا منها فرقاً أبرزها مجموعة أطلقت على نفسها اسم "صيادو داعش" دربت روسيا عناصرها، وقاتلت إلى جانب المرتزقة الروس حيث تم جمع بعضهم من جنوب شرق محافظة ديرالزور بداية شهر يونيو الماضي.

وعلى إثر تلك التنازلات وضع بوتين على طاولة المفاوضات مع ترامب في هلسنكي حزمة من الإجراءات التي تفرض الهيمنة الروسية- الإيرانية مقابل انحسار الدور الأمريكي في سوريا، ودفع واشنطن للقبول بالأمر الروسي الواقع كجزء من النظام العالمي الجديد، فيما يبدو ترامب مستمراً في التغاضي عن سلوك بوتين والابتعاد عن حلفائه التقليديين لإرضاء غريمه في الكرملين.

وتبدو دول الاتحاد الأوروبي تبدو غير راضية عن مسار التفاهمات الأمريكية- الروسية، حيث تشکك الدوائر الاستخباراتية

الغربيّة في قدرة روسيا أو رغبتها بإضعاف إيران.

كما تلاحظ الأوساط العسكريّة عدم رضا ترامب عن استمرار التّعهّدات العسكريّة للشّرق الأوسط التي تبنّاها أسلافه جورج بوش وباراك أوباما، حيث يعمّل على هدمها خطوة خطوة، ولعلّ الأسوأ من هذه الإخفاقات هو السماح لتل أبيب بتعزيز علاقاتها العسكريّة مع موسكو على حساب العلاقة بينها وبين واشنطن، حيث يضطرّ القادة الإسرائيليّون للتّوسل إلى بوتين لتقديم ضمّانات لهم في الجنوبيّ السوري بعد أن فقدوا الأمل في إقناع ترامب بعدم التّعجل في تنفيذ سياسة الانسحاب غير المدرّوس من سوريا.

ويبدو أن استعداد ترامب لتقديم المزيد من التنازلات للسلطة الروسيّة في سوريا والتخلي عن المكاسب الأميركيّة التي تحقّقت بصعوبة، يزعجان العديد من مسؤولي المجتمع الأمني الأميركي وضباط البنتاغون، في حين تعزّز القوات الروسيّة نفوذها في الشّرق الأوسط، وتستمر في دعم حلفائها لإضعاف هبة واشنطن ونفوذها المتراجّع في المنطقة.

المصادر: